الإمامة و أهل البيت (علیهم السلام) فی الفکر المعتزلی الجاحظ أنموذجاً

پدیدآورده (ها) : دلشاد،جعفر
میان رشته ای :: المنهاج :: شتاء 1427 - العدد 44
از 247 تا 280
آدرس ثابت : http://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/712681

دانلود شده توسط : رسول جعفریان
تاریخ دانلود : 14/04/1395

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائهٔ مجلات عرضه شده در پایگاه،مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه قوانین و مقررات استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.

پایگاه مجلات تخصصی نور

www.noormags.ir

الإمامة وأهل البيت عليهم السلام في الفكر المعتزلي

الجاحظ أنموذجاً

د. جعفر دلشاد(*)

تمهيد

منذ زمن بعيد وأنا مولع بمطالعة مؤلفات الجاحظ، هذا الكاتب القدير، الذي استطاع أن يخلّد اسمه في الأدب العربي وتاريخه. واليوم وبعد مضي ١١٧٠ عاماً على وفاة هذا العالم النحرير، ما زالت مؤلفاته حيّة بين الأوساط العلميّة والأدبيّة، لا يستغني عنها كل أديب وكاتب، خاصة كتبه المشهورة جداً كالبيان والتّبيين، والحيوان، والبخلاء، فضلاً عن كتبه الأخرى، ويقال: إن ما تركه الجاحظ من كتب ورسائل ينيف على مئة وسبعين كتاباً، فهي موسوعة علميّة وأدبيّة كاملة، وهي خير مثال للثّقافة العربيّة والنّضج الفكري والعلمي، وللأدب البليغ والأُسلوب الإنشائي الرفيع، ولا تزال بعض آثاره مخطوطة في خزائن الكتب بين الشرق والغرب(١).

وخلال مطالعتي كتابه الثمين «البيان والتبيين» ظفرتُ ببعض الفقرات لأئمة الشيعة؛ كالإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأولاده الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر سلام الله عليهم جميعاً، فآليت على نفسي ألا أترك هذه الفرصة، فرصة التنقيب عن كلام أهل البيت عليهم السلام في هذا السفر الجليل، فساعدني الحظ أن أستقرئ جميع المجلدات الأربعة، فاستخرجت ودونت ما عثرت عليه من كلامهم عليهم السلام.

وخلال متابعتي لآثار الجاحظ وجدت بعض المؤرخين يشيرون إلى رسائل وكتب لم تطبع بعد؛ منها:

١ ــ كتاب الإمامة على مذهب الشيعة.

٢ ــ كتاب الدلالة على أن الإمامة فرض.

(*) باحث من إيران.

www.noormags.ir

٣ ــ رسالة في تفضيل بني هاشم على من سواهم.
٤ ــ رسالة في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ويبدو أنّ العنوان الأول والرابع هو واحد، وبعد محاولة جادة استطعت أن أحصل على العنوان الأخير، وقد نشرها الأُستاذ المرحوم الدكتور مصطفى جواد لأول مرة في مجلة (لغة العرب)[٢] قبل أربعين عاماً، وسيأتي نصّها كاملاً إن شاء الله.

وأثناء دراستي لهذه الشخصيّة الفذّة عثرتُ على هذا العنوان: «مئة كلمة للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام» وهي التي جمعها الجاحظ، فصرت أبحث عنها، فإذا هي تُشْرَحُ ويُعَلَّقُ عليها علماء وأُدباء من بلاد العرب وبلاد فارس، وقد تضمنت أبياتاً عربية وفارسيّة، فحاولت أن أستقصي ما كُتب في هذا الشأن، فدوّنت ما تيسّر مشاهدته في هذا المقال.

حياة الجاحظ ومكانته العلمية

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي بالولاء، ولد في مدينة البصرة حوالي عام ١٦٠ للهجرة / ٧٧٥ للميلاد، وتوفي بها عام ٢٥٥ للهجرة / ٨٦٨ للميلاد. كان يُعرف بالجاحظ لجحوظ عينيه. بلغ الجاحظ من الذكاء وقوة التفكير ما جعله من كبار أئمة الأدب. نشأ في البصرة، وهي آنذاك آهلة بالأدباء والنّحاة وأصحاب اللغة فنبغ في كل ذلك. وعندما بلغ خبره المتوكل، وكان يبحث عن معلم يؤدب ولده، استقدمه إليه في مدينة «سُرّ من رأى» بالعراق، فلما رآه استبشع منظره، فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه.

كان قد اشتهر صيته في العالم الإسلامي آنذاك، فتهافت الناس لمشاهدته والسّماع منه. فلا يمر أديب أو عالم بالبصرة إلاّ طلب أن يرى الجاحظ ويكلمه.

كان الجاحظ من فضلاء المعتزلة، وهم جماعة من مفكري ذلك العهد. طالع الجاحظ كثيراً من كتب الفلاسفة، وله مؤلفات كثيرة، طبعت معظمها[٣]. وبقيت بعضها لم تر النور ولم تنشر حتى الآن[٤].

«اختلف المؤرخون والنقاد في أصل الجاحظ، فذهب بعضهم إلى أنه من أصل عربي، وذهب البعض الآخر إلى أنه من العناصر الإفريقية التي تداخلت في العنصر

www.noormags.ir

العربي؛ والفريقان ينسبانه إلى كنانة أصيلاً أو مولى»[٥].

«ويقال: أنه كان يعرف الفارسيّة. وكان مولعاً بالكتاب، يكثر من مطالعة المؤلفات الفكريّة والفلسفيّة»[٦].

«وما أن كان القرن الثالث الهجري حتى استوت له شهرة كبيرة بين كتّاب عصره، وترامت تلك الشهرة إلى أُذن المأمون، وقد قرأ للجاحظ كتاب «الإمامة» وأُعجب به، فاستقدمه وسأله أن يكتب له رسالة في العباسيّة والاحتجاج لها، وأقامه على ديوان رسائله، غير أن الجاحظ لم يمكث فيه سوى ثلاثة أيام، وكأنّه لم يستطع الخضوع لنظم الدواوين وما يقتضيه سير العمل»[٧].

تعتبر مؤلفات الجاحظ دائرة معارف أو موسوعة علميّة أدبيّة؛ لأنه استطاع أن يجمع فيها كل ما دُوّن في الأعوام التي سبقته، وقيل: لو لم تكن هذه الموسوعة لظلّ مكانها خالياً في فهم القرون التي خلت[٨].

كان الجاحظ يتمتع بقوة ذكاء عجيبة وحافظة قويّة، مما أدت إلى شهرته عالمياً، فإنه فضلاً عن اطّلاعه الواسع على العلوم العربية، كالتاريخ والتفسير والأدب و... كان يعيش في مركز الخلافة العباسية آنذاك، بغداد، وقد عُرف عصره بعصر الترجمة، فقد تُرجمت كتب كثيرة في تلك الفترة من اللُغات اليونانية والهنديّة والفارسية إلى اللغة العربيّة[٩].

جعل الجاحظ العقل حكماً سامياً في النظر إلى شؤون الحياة، ولعل الحافز الأصلي الذي حمله على إنزال العقل هذه المنزلة، هو إدراكه البون الشاسع بين المستوى الثّقافي لدى الخاصة من الناس والمستوى الذي عليه عامّة الناس، وهل غير العقل يستطيع أن يقضي على الرجعيّة الفكريّة التي تلازم معظم العامة من تقاليد بالية وخرافات وجهل؟

لقد كان الجاحظ على اعتقاد أن الإنسان كلما تقدم في انتهاج أساليب المنطق، وتفهم الدين على حقيقته، فإنه ستزدهر الفضيلة لديه، وسيترقى المجتمع رقيّه المنشود؛ لأن الفضيلة هي الأساس والركيزة في المجتمع، ولم يتحقق هذا الأمر إلاّ بالعقل، فكل أمر يصدّ العقل عن إشراقة الحقّ ليس إلاّ وهماً أو

www.noormags.ir

هوى. فالعقل وحده يميّز بين الخير والشرّ، ويوفّر لـه النموّ المتزن، فالعقل في الإنسان هو الجوهري والأفضل، غير أنه مغمور بمعطيات الحسّ ولا بدّ من تحريره أولاً[١٠].

منزلة الجاحظ

إذا كان عبدالحميد الكاتب وابن المقفّع يعدّان رأس المدرسة النثريّة الأُولى، فإن الجاحظ يُعدّ رأس المدرسة النثرية الثانية في الأدب العربي، فأُسلوب المدرسة الثانية يمتاز بنزعة إلى الملائمة لتقدّم الحضارة، وميل إلى الإسهاب، ورجوع إلى العرب والاستقاء من ينابيع أدبهم، كي تتماشى مع المدنيّة والثقافة، وانتهاج المنطق إذا دعت إليه الحاجة[١١].

كان الجاحظ يمثّل حريّة الفكر لعصره، ومثّل الجاحظ أيضاً في آثاره تشعّب الحركة الفكريّة، واتّساع آفاق المعرفة آنذاك، وكذا البحث العلمي المؤسَّس على العقل، وقد حظي من كل علم بطرف حتى إنه خاض في أبواب مختلفة كعلم الاجتماع، والأخلاق، والتربية والتعليم، والطبيعة وفلسفة اللّغة وما إلى ذلك[١٢].

«ومهما يكن من أمر ففضل الجاحظ على الأدب العربي فضل جمّ، فقد قرّب الفلسفة والعلوم إلى كل ذهن، وصاغها صياغة أدبيّة مزج فيها كلام أرسطو بأشعار الجاهليين، وأقوال الفلاسفة بأقوال الأُدباء، وجعل اللّغة العربيّة لغة الحياة التي تنطق بكل علم وتعبّر عن كل فن»[١٣].

شخصيته الثقافية

كان الجاحظ ذكيّاً غريب الذكاء، محبّاً للمطالعة حتى قال أبو هفّان: «لن أرى فقط، ولا سمعت من أحبّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلاّ استوفى قراءته كائناً ما كان، حتى أنه كان يكتري دكاكين الورّاقين ويبيت فيها للنظر»[١٤].

«فهو صاحب فئة من كتّاب العرب ومترجمي الفرس، فنقل عنهم واستفاد منهم، وأُغرم بالمطالعة إغراماً شديداً فلم يقع في يده كتاب إلاّ استتم قراءته،

www.noormags.ir

واستوعب مادته، وكان يكتري حوانيت الورّاقين ويعتكف فيها للدرس والمطالعة حتى أحصى مسائل العلوم، واستبطن دخائل الفنون، وأصبح في الأدب منقطع القرين»[١٥].

«وبحسبنا أن نقول: إنّه تميّز من أنداده بغزارة العلم، وقوة الحجة، واستقصاء البحث، وشدة العارضة، وبلاغة القول، وإنه تبحّر في علم الكلام وخلطه بفلسفة يونان، وانفرد دون المتكلمين بمذهب التوحيد، شايعه عليه كثير منهم فسُمّوا بالجاحظيّة، وشارك في سائر العلوم وكتب فيها كتابة محقّق ضليع. وهو أول عالم عربي جمع بين الجدل والهزل، وتوسّع في المحاضرات، وأكثر من التّصنيف، وكتب في الحيوان والنّبات والأخلاق والاجتماع»[١٦].

كما كتب الجاحظ في موضوعات مختلفة: الفلسفة، التاريخ، الجغرافية، العقائد.

كانت مؤلفاته موسوعة جمعت الثّقافات القديمة وثقافات العصر العباسي، فمن أشهر كتبه: الحيوان، البخلاء، والبيان والتّبيين، أمّا كتابه (الحيوان) فهو كتاب علم وتأريخ وأدب، وكان الأول من نوعه عند العرب. أما كتابه (البخلاء) فقد وضعه طلباً للمنفعة العامة، وبه تظهر مقدرة الجاحظ في النفوذ إلى زوايا النفس البشريّة. وأما كتابه (البيان والتبيين)، فهو كتاب أدب وضعه في أواخر أيامه لتنشئة الكتّاب على الأساليب القويمة. يعدّ هذا الكتاب أولى المحاولات للتّصنيف في علوم البلاغة، ويعدّ أيضاً مصدراً من مصادر تاريخ الأدب العربي، ويمتاز بنظرات قيّمة في النقد[١٧].

فالجاحظ دائرة واسعة للمعارف، وأديب جعل العلم مادة لأدبه، يعنى بألفاظه ومعانيه، ويتطلب الحقيقة بكل قواه.

البصرة وبغداد ومكانتهما العلمية

أما مدينة البصرة التي ترعرع فيها الجاحظ فقد كان ولا يزال موقعها الجغرافي الممتاز على مفترق طرق المواصلات البريّة والبحريّة والنهريّة، مما جعلها تغصّ بالسّكان من كل جنس ولون، من عرب وغير عرب. وفضلاً عن أنّها كانت مركزاً تجارياً، فقد كانت مركزاً ثقافيّاً مهماً، موطناً للتّفكير المنطقي. ففيها ظهرت المدرسة القدريّة التي أكملتها المعتزلة، وفيها أيضاً ظهرت مدرسة اللّغويين التي اعتمدت

www.noormags.ir

الاستقراء الأُسلوبي والقياس، فكان من ثمارها «كتاب سيبويه»، و«العين» للخليل بن أحمد، و«البيان والتّبيين» للجاحظ[18].

وقد دأب بعض المؤرخين على تسمية العصر العباسي زمن المأمون بالعصر الذهبي للحضارة العربيّة، فصهرت هذه الحضارة في بوتقتها خلاصة الحضارات القديمة وأعطتها طابعاً خاصاً من أهم مزاياه هي حرية الفكر، ونهضة الآداب والعلوم والفنون[19].

كانت البصرة حينئذ أهم مراكز الثّقافة قبل ازدهار بغداد، فكانت مساجدها ملتقى العلماء والأدباء والشّعراء والنّحاة، وكان اتصال الجاحظ وثيقاً بهؤلاء، إلاّ أن آفاق البصرة على رحبها لم تكن لتكفي أبا عثمان، فانصرف عنها إلى بغداد، عاصمة العالم الإسلامي في ذلك العصر، حيث كان يؤمها نخبة المفكرين حتى صارت مركزاً علمياً بارزاً، فضلاً عن كونها كانت من أهم المراكز الاقتصادية في العالم.

وقد كان تساهل السلاطين العباسيين حافزاً للكتّاب أيّاً كان مذهبهم وأصلهم على الإقامة فيها[20]. وقد أفاد الجاحظ من وجوده في بغداد، فتابع درسه في مجالس أعلامها مثل أبي عبيدة[21] والأخفش[22] والأصمعي[23] وأبي زيد الأنصاري[24] والنّظام[25].

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

مئة كلمة للإمام علي عليه السلام جمعها الجاحظ

ولدى تتبعي لأخبار الجاحظ ومصنفاته في مختلف الكتب وفهارس مخطوطات المكتبات عثرت على عنوان جلب انتباهي، وهو: مئة كلمة للإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام اختارها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وبعد متابعتي لهذا العنوان حصلت على معلومات لا يستغني عنها كل باحث ومتتبع لآثار الجاحظ منها:

قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر صاحب أبي عثمان الجاحظ: كان الجاحظ يقول لنا زماناً: إنّ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مئة كلمة، كل كلمة منها تفي بألف كلمة من محاسن كلام العرب. قال: وكنت أسأله دهراً بعيداً أن يجمعها لي،

www.noormags.ir

ويمليها عليّ، وكان يعدني بها، ويتغافل عنها، ضنّاً بها، قال: فلما كان آخر عمره أخرج جملة الكلمات المئة هذه ثم ذكرها(٢٦).

ونظمها رشيد الدين الوطواط فجعل كل كلمة منها في رباعيّة فارسيّة وسمّى ذلك: «مطلوب كلّ طالب من كلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب»، والوطواط هذا هو محمد بن عبدالجليل العمري البلخي المتوفى بخوارزم سنة ٥٥٢ للهجرة، وكان من أفاضل أهل زمانه في النّظم والنثر، وأعلمهم بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والأدب، وكان كاتباً للسلطان خوارزم شاه الهندي(٢٧). ولرشيد الدين الوطواط شعر في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

لقد تجمع في الهادي أبي ما قد تجمع في الأصحاب من

ومما جاء في كتاب (تاريخ الأدب العربي) لبروكلمن(٢٨): أمثال سيدنا عليّ (١٠٠) حكمة ومثل بالعربية والفارسيّة مع تفسير لرشيد الدين الوطواط، مع هامش مزدوج به أمثال وحكم عربيّة نشره وترجمه إلى الألمانية مع حواشي وتعليقات المستشرق فلايشر، طبعة ليبزج ١٨٢٧م.

ـ ويوجد شرح لهذه المجموعة بقلم حسين بن معين الدين الميبذي في المتحف البريطاني برقم ١٦٦٥.

ـ ويوجد شرح آخر لمحمد العمري في باريس برقم ٢٩٥٤.

ـ وتوجد مجموعة رشيد الدين الوطواط أيضاً في أياصوفيا برقم ٤١٦٥ / ٤٧٩٢، والسليمانية برقم ١٢٦/ ألف ١٢٥ و١٠٢٨، وشرحها جمال خلوتي بعنوان «صد كلمه»، أياصفويا ٤٠٧٠.

ـ أمثال سيدنا عليّ، ينسب جمعها إلى الجاحظ، كما روى ذلك ابن قتيبة في عيون الأخبار: كوبريلي ١٥٦، ومانشستر ١٤٧.

ـ مئة من أمثال عليّ، نشرت في صيدا سنة ١٣٤١هـ برلين ٨٨٥٦ ـ ٨٨٥٧، وتوجد مع ترجمة فارسيّة وشرح لمحمد بن محمد بن عبدالرشيد، برلين ٨٦٥٧

كما توجد نسخة خطيّة في المتحف البريطاني برقم ٢٠٨ لعارف الحسني، ونسخة أُخرى برقم ١٦٦٥.

www.noormags.ir

ـ وتوجد أيضاً تحت عنوان: المختار من كلام الجاحظ وحكم عليّ بمكتبة برلين[٢٩].

ـ «(صد كلمه أمير المؤمنين) أولها: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. وقد شرحها بالنظم الفارسي بعض الفضلاء لكل كلمة رباعيّة، وهو مطبوع مع (صد كلمه جاحظ)»[٣٠].

ـ وقد ذكر صاحب كتاب (الذريعة) المرحوم آغا بزرك الطهراني في كتابه هذا عنواناً آخر للمئة كلمة التي جمعها الجاحظ قائلاً:

«(مئة كلمة) من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام التي أصلها جمع أبي عثمان الجاحظ العامي، أولها: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. وقد طبعت بهامش كتاب «الشهاب» للشيخ يحيى البحراني ١٣٢٢هـ»[٣١].

ـ كما أشار صاحب كتاب (الذريعة) أيضاً في كتابه هذا إلى شرح لهذه المئة كلمة تحت عنوان:

«حكمة بالغة» ومئة كلمة جامعة في الأخلاق، شرح بالفارسية لمئة كلمة من الكلمات القصار المأثورة المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، مع الاستشهاد بالأشعار الفارسية الحكميّة للشيخ عباس القمي المحدّث المعاصر المتوفّى ١٣٥٩هـ وقد طبع بإيران في ١٣٣١هـ[٣٢].

وللجاحظ وقفة وتعليق على كلمة من الكلمات القصار لعليّ بن أبي طالب عليه السلام في كتابه «البيان والتبيين» ننقلها نصّاً إتماماً للفائدة:

«قال عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: قيمة كلّ إنسان ما يحسن. فلو لم نقف من هذا الكتاب إلاّ على هذه الكلمة، لوجدناها كافية شافية، ومجزية مغنية، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية، وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكأنّ الله عزّ وجلّ قد ألبسه من الجلالة وغشّاه من نور الحكمة على حسن نيّة صاحبه، وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفاً، واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع، بعيداً من الاستكراه، ومنزهاً عن الاختلال، مصوناً عن التّكلّف، صنع في القلب صنيع الغيث في التّربة الكريمة، ومتى فصّلت الكلمة على

www.noormags.ir

هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصّفة، أصحبها الله من التوفيق، ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة»(٣٣).

أُنظر إلى إمام المتكلمين، ورائد من روّاد الأدب العربي، الذي طالما ظلّ إنتاجه كعبة لمن أراد أن ينتهل كيف يصف كلام أبي الحسن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، وكيف يعظّم صاحب القول هذا ويبجّله غاية التّبجيل، وهذه الكلمة هي إحدى الكلمات المئة التي طالما كان الجاحظ يحتفظ بها ويكنّ لها احتراماً خاصّاً.

رسالة في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام للجاحظ

ومن غريب ما شاهدته خلال تتبعي لآثار الجاحظ ومؤلفاته، رسالة في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فهو يتخذ المنطق والعقل أولاً، ثم القرآن والسّنة دليلاً يحتجّ به على هذا الأمر، ليرى من هو الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حقّاً، والرسالة نصاً كما يلي:

«هذا كتاب من اعتزل الشك، والظّن، والدّعوى، والأهواء، وأخذ باليقين والثقة من طاعة الله، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، وبإجماع الأُمّة بعد نبيّها عليه السلام، مما تضمنه الكتاب والسنة، ترك القول بالآراء، فإنها تخطئ وتصيب؛ لأن الأُمّة أجمعت أن النبي صلى الله عليه وآله، شاور أصحابه في الأسرى ببدر، واتفق رأيهم على قبول الفداء منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾(٣٤).

فقد بان لك أن الرأي يخطئ ويصيب، ولا يعطي اليقين، وإنما الحجة الطاعة لله ولرسوله، وما أجمعت عليه الأُمّة من كتاب الله. وسنة نبيّها، ونحن لم ندرك النبي صلى الله عليه وآله ولا أحداً من الصحابة الذين اختلفت الأُمّة في حقّهم، فنعلم أيّهم أولى، ونكون معهم كما قال تعالى: ﴿كُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(٣٥)، ونعلم أيّهم على الباطل فنجتنبهم، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾(٣٦). حتى أدركنا العلم، فطلبناه معرفة للدين وأهله، وأهل الصدق، والحقّ، فوجدنا الناس مختلفين يبرأ بعضهم من بعض، ويجمعهم في حال اختلافهم فريقان: أحدهما قالوا

www.noormags.ir

إنّ النبيّ ﷺ، مات ولم يستخلف أحداً، وجعل ذلك إلى المسلمين يختارونه، فاختاروا أبا بكر، والآخرون قالوا: إن النّبي ﷺ، استخلف عليّاً فجعله إماماً للمسلمين بعده، وادّعى كل فريق منهم الحق.

فلما رأينا ذلك، وقفنا الفريقين لنبحث ونعلم المحقّ من المبطل، فسألناهم جميعاً: هل للناس من وال يقيم أعيادهم، ويجبي زكاتهم (زكواتهم)، ويفرّقها على مستحقّيها، ويقضي بينهم، ويأخذ لضعيفهم من قويهم، ويقيم حدودهم؟ فقالوا لا بد من ذلك.

فقلنا هل لأحد أن يختار أحداً فيولّيه بغير نظر في كتاب الله، وسنة نبيّه ﷺ؟ فقالوا: لا يجوز ذلك إلاّ بالنظر.

فسألناهم جميعاً عن الإسلام الذي أمر الله به. فقالوا: إنّه الشّهادتان والإقرار بما جاء من عند الله والصلاة والصّوم والحج بشرط الاستطاعة، والعمل بالقرآن يحلّ حلاله ويحرّم حرامه. فقبلنا ذلك منهم لإجماعهم.

ثم سألناهم جميعاً: هل لله خيرة من خلقه اصطفاهم واختارهم؟ فقالوا: نعم. فقلنا: ما برهانكم؟ فقالوا: قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾(٣٧).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فسألناهم:من الخيرة؟ فقالوا: هم المتقون. قلنا: ما برهانكم؟ قالوا: قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٣٨).

فقلنا: هل لله خيرة من المتّقين؟ قالوا: نعم، المجاهدون ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾(٣٩).

فقلنا: هل لله خيرة من المجاهدين؟ قالوا جميعاً: نعم، السابقون من المهاجرين إلى الجهاد، بدليل قوله تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾(٤٠) الآية. فقبلنا ذلك منهم لإجماعهم عليه، وعلمنا أن خيرة الله من خلقه؛ المجاهدون السابقون إلى الجهاد.

ثم قلنا: هل لله منهم خيرة؟ فقالوا: نعم. قلنا: من هم؟ قالوا: أكثرهم عناء في الجهاد، وطعناً وضرباً وقتلاً في سبيل الله، بدليل قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

www.noormags.ir

خَيْرًا يَرَهُ﴾[٤١]، ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللـــه﴾[٤٢]. فقبلنا ذلك منهم، وعلمناه، وعرفنا أن خيرة الخيرة أكثرهم في الجهاد عناء، وأبذلهم لنفسه في طاعة الله، وأقتلهم لعدوه.

فسألناهم عن هذين الرجلين: عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأبي بكر، أيهما كان أكثر عناء في الحرب، وأحسن بلاء في سبيل الله، فأجمع الفريقان علىّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أنه كان أكثر طعناً، وضرباً، وأشدُّ قتالاً وأذبّ عن دين الله ورسوله.

فثبت بما ذكرناه من إجماع الفريقين، ودلالة الكتاب والسنة، أن علياً عليه السلام أفضل.

وسألناهم ثانياً عن خيرته من المتقين، فقالوا: هم الخاشعون بدليل قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيد * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّاب حَفِيظ * مَنْ خَشِيَ الـرَّحْمَن بِالْغَيْبِ﴾[٤٣]. وقال تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾[٤٤].

ثم سألناهم: من هم الخاشعون: قالوا: هم العلماء؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللـــه مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾[٤٥].

ثم سألناهم جميعاً: من أعلم النّاس؟ قالوا: أعلمهم بالقول وأهداهم إلى الحقّ وأحقهم أن يكون متبوعاً ولا يكون تابعاً، بدليل قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِـهِ ذَوَا عَـدْلٍ مِّنكُمْ﴾[٤٦]. فجعل الحكومة إلى أهل العدل، فقبلنا ذلك منهم. ثم سألناهم عن أعلم الناس بالعدل من هو؟ فقالوا: أدلهم عليه. فقلنا: فمن أدلّ الناس عليه؟ قالوا أهداهم إلى الحقّ، وأحقهم أن يكون متبوعاً ولا يكون تابعاً، بدليل قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْـدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾[٤٧] الآية.

فدلّ كتاب الله وسنة نبيّه عليه السلام، والإجماع أن أفضل الأُمّة بعد نبيّها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لأنه إذا كان أكثرهم جهاداً، كان أتقاهم، وإذا كان أتقاهم كان أخشاهم، وإذا كان أخشاهم كان أعلمهم، وإذا كان أعلمهم، كان أدلّ على العدل، وإذا كان أدلّ على العدل، كان أهدى الأُمّة إلى الحقّ، وإذا كان أهدى كان أولى أن يكون متبوعاً، وأن يكون حاكماً، لا تابعاً ولا محكوماً عليه.

أجمعت الأُمّة بعد نبيّها أنه خلّف كتاب الله تعالى ذكره، وأمرهم بالرجوع إليه

www.noormags.ir

إذا نابهم أمر، وإلى سنة نبيّه ﷺ فيتدبّرونها ويستنبطون منها ما يزول به الاشتباه. فإذا قرأ قارؤهم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ﴾. فيقال له: أثبتها. ثم يقرأ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّه أَتْقَاكُمْ﴾، وفي قراءة ابن مسعود: (إنّ خيركم عند الله أتقاكم). ثم يقرأ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾، فدلّت هذه الآية على أن المتقين هم الخاشعون. ثم يقرأ حتى إذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللّه مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾، فيقال له: إقرأ حتى ننظر، هل العلماء أفضل من غيرهم أم لا؟ حتى إذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللّه الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، قيل: قد دلّت هذه الآية على أنّ الله تعالى قد اختار العلماء وفضّلهم ورفعهم درجات.

وقد أجمعت الأُمّة على أن العلماء من أصحاب رسول الله ﷺ الذين يؤخذ عنهم العلم، كانوا أربعة: عليّ بن أبي طالب ﷺ، وعبدالله بن العباس، وابن مسعود، وزيد بن ثابت رضى الله عنهم، وقالت طائفة عمر بن الخطاب. فسألنا الأُمّة من أولى الناس بالتّقديم إذا حضرت الصلاة؟ فقالوا إن النّبي قال: يؤم القوم أقرأهم، ثم أجمعوا أن الأربعة كانوا أقرأ لكتاب الله تعالى من عمر، فسقط عمر. ثم سألنا الأُمّة: أي هؤلاء الأربعة أقرأ لكتاب الله وأفقه لدينه، فاختلفوا، فوقفناهم حتى نعلم. ثم سألناهم: أيّهم أولى بالإمامة: فأجمعوا على أنّ النبي ﷺ قال: الأئمة من قريش فسقط ابن مسعود، وزيد بن ثابت، وبقي عليّ بن أبي طالب، وابن عباس. فسألناهم أيّهما أولى بالإمامة، فأجمعوا على أنّ النّبي ﷺ قال: إذا كان عالمان فقيهان قرشيان، فأكبرهما سناً، وأقدمهما هجرة. فسقط عبدالله بن عباس، وبقي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه. فيكون أحق بالإمامة لما أجمعت عليه الأُمّة لدلالة الكتاب والسّنة عليه»(٤٨).

ففي العبارة الأُولى من هذه الرّسالة تجد الاستدلال جلياً بأنّه يريد أن يثبت أمراً بعيداً عن الهوى، آخذاً باليقين من طاعة ربّ العالمين، وطاعة رسوله ﷺ، ويستند في حجته ودليله إلى إجماع الأُمة بعد نبيّها، ثم الرجوع إلى الكتاب والسّنّة.

فأول آية يستشهد بها الجاحظ في رسالته هي قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا

www.noormags.ir

يَشاء وَيَختَارُ مَا كَانَ لَـهمُ الْخِيَرَةُ﴾، فهذه تعارض في مفهومها ظاهراً الآية الشريفة: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [(٤٩)]، وإذا رجعنا إلى تفسير مجمع البيان للطبرسي فسوف نرى هذه العبارة: «... واختُلف في الآية، وتقديرها على قولين أحدهما: أن معناه ﴿وَرَبُّكَ يَخلُقُ مَا يَشَاء﴾ من الخلق، و ﴿يختار﴾ تدبير عباده، على ما هو الأصلح لـهم، ويختار للرسالة ما هو الأصلح لعباده. ثم قال: ﴿ما كان لـهم الخيرة﴾، أي ليس لـهم الاختيار على اللـه، بل للـه الخيرة عليهم، وعلى هذا تكون (ما) نفياً. والآخر: أن يكون (ما) في الآية بمعنى الذي، أي ويختار الذي كان لـهم الخيرة فيه، فيكون الوقف على هذا عند قولـه: ﴿ما كان لـهم الخيرة﴾، وهذا أيضاً في معنى الأول؛ لأن حقيقة المعنى فيها أنه سبحانه يختار، وإليه الاختيار ليس لمن دونه الاختيار؛ لأن الاختيار يجب أن يكون على العلم بأحوال المختار، ولا يعلم غيره سبحانه جميع أحوال المختار، ولأن الاختيار هو أخذ الخير. وكيف يأخذ الخير من الأشياء من لا يعلم الخير فيها[(٥٠)]؟!

ومما جاء في تفسير الكشّاف للزمخشري ما هذا نصّه: «إن الخيرة للـه تعالى في أفعالـه، وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها، ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه... وقيل معناه: ويختار الذي لـهم فيه الخيرة، أي يختار للعباد ما هو خير لـهم وأصلح، وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم...»[(٥١)].

وما ذكره العلامة الطباطبائي في تفسيره[(٥٢)] هذا نصه: «فلـه تعالى أن يختار في مرحلة التشريع من الأحكام والقوانين ما يشاء كما أن لـه أن يختار في مرحلة التكوين من الخلق والتّدبير ما يشاء، وهذا معنى قولـه: ﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار﴾، وقد أطلق إطلاقاً».

وإن كان رأي العلامة الطباطبائي (رحمه اللـه تعالى) يختلف عمن سبقه من المفسرين، فهو يعتبر هذا الاختيار مطلقاً، سواء في القضايا التكوينية أو التشريعيّة، بينما نجد الطبرسي (رحمه اللـه تعالى) يقتصر في معنى الاختيار على ما هو الأصلح لعباده مثل الرسالة، ويذهب صاحب الكشّاف إلى ما هو خير للعباد وأصلح لـهم بصورة عامة، وربما يتطابق رأي العلامة مع رأي صاحب الكشّاف.

ثم يتدرّج الجاحظ في رسالته هذه من لفظ الخيرة وهو الاختيار، كما مرّ بنا في

www.noormags.ir

التفاسير السالفة الذكر إلى مصاديق الخيرة، فيراها في المتّقين، ثم المجاهدين والمهاجرين والسّابقين منهم إلى الجهاد، والأكثر عناء منهم في الجهاد.

وبعد كل هذه المقدمة ينتهي إلى رجلين من أصحاب الرّسول ﷺ لهما الريادة في كل هذه الأُمور التي ذكرت؛ وهما: عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأبو بكر. ثم يتساءل مَنْ منهما أكثر طعناً وضرباً وأشدّ قتالاً، فينتهي إولى أفضلية عليّ عليه السلام.

ثم ينتقل إلى قاعدة أُخرى وهي التّقوى، ليرى من المتّقون حقّاً من أصحاب الرسول الكريم ﷺ ثم الخاشعون من هذه الطبقة الممتازة؟ وينتهي إلى أنّ العلماء هم الذي يمتازن بهذه الصفة وهي الخشوع، وبعد العلم ينتقل إلى الحكم والحكومة، ومن هو أجدر بهذا الأمر من بين العلماء؟ فيرى العدل أساس الحكم والحكومة، ومن هو الذي أهدى للحق؟ فيرى أن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو الذي كان يمتاز بهذه الصفات وكان أهدى، ولما كان أهدى كان أولى أن يكون حاكماً لا تابعاً ومحكوماً عليه.

وقد استدل الجاحظ على هذا الأمر بأن الأُمّة قد أجمعت بعد نبيّها على الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه، وبعد استقراء بعض الآيات من الكتاب العزيز، والرجوع إلى سنة الرسول الكريم ﷺ يقايس، وهي أصحّ، بين أربعة أو خمسة من اصحاب الرسول ﷺ وهم: عليّ بن أبي طالب وعبدالله بن العباس، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وعمر بن الخطاب. وبعد الاستدلال بأحاديث الرسول ﷺ ينتهي بهذا الاستنتاج إلى أنّ الإمام العالم الفقيه من قريش الذي يستحق الزعامة والإمامة للأُمّة بعد رسولها ﷺ هو الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

كتاب البيان والتّبيين وأقوال أهل البيت عليهم السلام

يعتبر كتاب (البيان والتبيين) من الكتب الأدبية والتأريخيّة الثمينة، إذ إنّ القيّم في اللغة هو المستقيم لا ذو القيمة كما هو شائع، فهو مزيج من ثقافات مختلفة تغلب عليها الثقافة العربيّة، فالكتاب هذا أصل من أصول فن الأدب وأركانه، وقد امتزجت فيه علوم البلاغة والأدب والتأريخ[٥٣]. ويعتبر أيضاً كتاباً في الإنشاء إذ يشتمل على بحوث في فن البيان والخطابة، ويعدّ مرجعاً في الشعر والشعراء والنسّاك والزّهاد،

www.noormags.ir

ويحتوي على جملة من خطب النبي ﷺ، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام وأقوالهما، وكذا بعض أقوال أهل البيت عليهم السلام.

وأما ما احتوت عليه المجلدات الأربعة من كتاب (البيان والتّبيين)[٥٤] من أقوال أهل البيت عليهم السلام فلم تكن قليلة، وصنّفتها وجعلتها في مقولات ستّ:

١ ــ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أقواله وخطبه.

٢ ــ في الحكم والمواعظ.

٣ ــ في الدّنيا والآخرة.

٤ ــ في النّساء.

٥ ــ في أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية.

٦ ــ في قضايا عامة.

فاستخرجت الأقوال الواردة هنا من مصادر أُخرى؛ كشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وبحار الأنوار، ووسائل الشيعة، ومستدرك وسائل الشيعة، والكتب الأربعة (الكافي، من لا يحضره الفقيه، الاستبصار، والتهذيب)، مشيراً إليها في الهوامش.

عليّ بن أبي طالب عليه السلام أقواله وخطبه

الأقوال:

(١) وذكر الله آدمَ الذي هو أصلُ البشر فقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾[٥٥]. ولذلك كنّى النبي عليه السلام عليّاً أبا تراب. قالوا: وكانت أحبّ الكُنى إليه[٥٦].

(٢) قال: وأثنى رجلٌ على عليّ بن أبي طالب فأفرط، وكان عليٌّ له متّهماً، فقال: «أنا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك»[٥٧].

(٣) وقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام «أُوصيكم بأربع لو ضربتم إليها آباط الإبل لكُنّ لها أهلاً: لا يرجونّ أحدٌ منكم إلاّ ربّه؛ ولا يخافنّ إلاّ ذنبه؛ ولا يستحي أحدٌ إذا سئل عمّا لا يعلم أن يقول: لا أعلم. ولا إذا لم يعلم الشيء أن يتعلّمه. وإنّ الصّبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس ذهب الجسد، وكذلك إذا ذهب الإيمان»[٥٨].

www.noormags.ir

(٤) وقال عليّ ﷺ: «قيمة كلّ امرئ ما يحسن». فلو لم نقف من هذا الكتاب إلاّ على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية، ومجزية مغنية، بل لوجدناها فاضلةً عن الكفاية، غير مقصّرة عن الغاية. وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكأنّ الله عزّ وجلّ قد ألبسه من الجلالة، وغشّاه من نور الحكمة على حسب نيّة صاحبه، وتقوى قائله. فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه، ومنزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلّف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التّربة الكريمة. ومتى فصلت الكلمة على هذه الشّريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصّفة، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة[٥٩].

(٥) عبدالله بن الحسن قال: قال عليّ بن أبي طالب ﷺ: «خصصنا بخمس: فصاحة، وصباحة، وسماحة، ونجدة، وحظوة» ــ يعني عند النّساء[٦٠].

(٦) وقال الحسن بن علي: «من أتانا لم يعدم خصلةً من أربع: آية محكمةً، أو قضيّة عادلة، أو أخاً مستفاداً، أو مجالسة العلماء»[٦١].

(٧) وقال بعضهم: دعا رجلٌ عليّ بن أبي طالب ﷺ إلى طعام، فقال: «نأتيك على أن لا تتكلّف لنا ما ليس عندك، ولا تدّخر عنّا ما عندك»[٦٢].

(٨) عنبسة القطّان قال: شهدت الحسن وقال له رجلٌ: بلغنا أنك تقول: لو كان عليّ بالمدينة يأكل من حشفها لكان خيراً له مما صنع. فقال له الحسن: «يا لكع، أما والله لقد فقدتموه سهماً من مرامي الله غير سؤوم لأمر الله، ولا سَروقَة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه فيما عليه وله، فأحلّ حلاله، وحرم حرامه، حتى أورده ذلك رياضاً مونقةً، وحدائق مغدقة. ذلك عليّ بن أبي طالب يا لكع»[٦٣].

الخطب:

(٩) خطبة لعليّ بن أبي طالب ﷺ[٦٤]، قال أبو عبيدة معمر بن المثنّى: أول خطبة خطبها عليّ بن أبي طالب ﷺ أنّه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه: «أما بعد فلا يُرْعينّ مرعٍ إلاّ على نفسه؛ فإنّ من أرعى على غير نفسه شُغِل عن الجنة والنار أمامه.

www.noormags.ir

ساع مجتهد ينجو، وطالبٌ يرجو، ومقصّر في النار. ثلاثة، واثنان: ملكٌ طار بجناحيه، ونبيّ أخذ الله بيديه، ولا سادس. هلك من ادّعى وردى مَن اقتحم؛ فإنّ اليمين والشّمال مضلّة، والوسطى الجادّة، منهجٌ عليه باقي الكتاب والسنّة، وآثار النبوة. إنّ الله داوى هذه الأُمّة بدواءين: السيف والسّوط، فلا هوادة عند الإمام فيهما، استتروا ببيوتكم وأصلحوا فيما بينكم والتّوبة من ورائكم. مَنْ أبدى صفحته للحقّ هلك. قد كانت لكم أمور ملتم عليَّ فيها ميلةً لم تكونوا عندي فيها بمحمودين ولا مصيبين. أما إني لو أشاء لقلت عفا الله عمّا سلف. سبق الرجلان وقام الثالث، كالغراب همّته بطنه، يا ويْحه، لو قصّ جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له. انظروا فإن أنكرتم فأنكروا، وإن عرفتم فآزروا. حقٌّ وباطل، ولكلٍّ أهل؛ ولئن أمر الباطل لقديماً فعل، ولئن قلّ الحق لربّما ولعلّ. ما أدبر شيء فأقبل. ولئن رجعَتْ عليكم أموركم إنّكم لسعداء، وإني لأخشى أن تكونوا في فترة. وما علينا إلاّ الاجتهاد».

قال أبو عبيدة: وروى فيها جعفر بن محمد:

«ألا إنّ أبرارَ عترتي، وأطايب أرومتي، أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً. ألا وإنّا أهل بيت من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا. وإن تتّبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا. معنا راية الحق، من تبعها لحق، ومن تأخّر عنها غرق. ألا وإنّ بنا تردّ دبْرَة كلّ مؤمن، وبنا تُخلَع ربقة الذّلّ من أعناقكم، وبنا غُنم، وبنا فتح الله لا بكم، وبنا يَختم لا بكم».

(١٠) خطبة لعليّ بن أبي طالب أيضاً عليه السلام [٦٥]: «أمّا بعد، فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإنّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطّلاع. وإنّ المضمار اليوم والسّباق غداً. ألا وإنّكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن أخلص في أيام أمله قبل حضور أجله [فقد] نفعه عمله ولم يضرره أمله، ومن قصّر في أيام أمله قبل حضور أجله، فقد خسر عمله، وضرّه أمله. ألا فاعملوا لله في الرّغبة، كما تعملون له في الرّهبة. ألا وإنّي لم أر كالجنّة نام طالبها، ولا كالنّار نام هاربها. ألا وإنّكم قد أُمرتم بالظّعن، ودُللتم على الزّاد، وإنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى، وطول الأمل».

(١١) ومن خطب عليّ أيضاً عليه السلام [٦٦]، قالوا: أغار سفيان بن عوف الأزدي ثم

www.noormags.ir

الغامدي على الأنبار، زمان عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعليها حسان ـ أو ابن حسان ـ البكري فقتله، وأزال تلك الخيل عن مسالحها، فخرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام حتى جلس على باب السدّة، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم قال:

«أمّا بعد، فإنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنة. فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذّلّ، وشمله البلاء، ولزمه الصّغار، وسيم الخسف، ومُنع النّصْف. ألا وإنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لكم: اُغزوهم قبل أن يغزوكم؛ فوالله ما غُزي قومٌ قطٌّ في عُقْر دارهم إلاّ ذلّوا، فتواكلتم وتخاذلتم، وثقل عليكم قولي واتّخذتموه وراءكم ظهرياً، حتى شُنّت عليكم الغارات. هذا أخو غامد قد وردتْ خيله الأنبار، وقتل حسان ـ أو ابن حسان ـ البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، وقتل منكم رجالاً صالحين، ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المسلمة والأُخرى المعاهدة، فينزع حجلها وقُلبها ورعاثها. ثم انصرفوا وافرين، ما كُلم رجل منهم كلماً، فلو أنّ امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان عندي ملوماً، بل كان به عندي جديراً. فيا عجباً من جدّ هؤلاء القوم في باطلهم! وفشلكم عن حقّكم. فقبحاً لكم وترحاً، حين صرتم هدفاً يُرمى، وفيئاً يُنتهب، يُغار عليكم ولا تُغيرون، وتُغزون ولا تغزون، ويُعصى الله وترضون؛ فإذا أمرتكم بالسّير إليهم في أيام الحرّ قلتم: حمارّة القيظ، أمهلنا ينسلخ عنّا الحرّ. وإذا أمرتكم بالسير في البرد قلتم: اسملنا ينسلخ عنّا القرّ. كلٌّ ذا فراراً من الحَرّ والقُرّ. فإذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرّون، فأنتم والله من السيف أفرّ. يا أشباه الرّجال ولا رجال، ويا أحلام الأطفال وعقول ربّات الحجال، وددت أنّ الله قد أخرجني من بين ظهرانيْكم وقبضني إلى رحمته من بينكم. والله لودِدْتُ أني لم أركُمْ، ولم أعرفكم ـ والله ـ معرفة جرّتْ ندماً. قد وريْتم صدري غيظاً، وجرّعتموني الموت أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذْلان، حتى قالت قريش: ابن أبي طالب شجاعٌ ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم! وهل منهم أحدٌ أشدّ لها مراساً أو أطول لها تجربةً منّي؟ لقد مارستها وما بلغتُ العشرين، فهأنذا قد نيّفت على السّتين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع».

www.noormags.ir

قال: فقام لـه رجلٌ من الأزد يقال لـه فلان بن عفيف، ثم أخذ بيد ابـن أخٍ لـه فقال: هأنذا يا أمير المؤمنين لا أملـك إلاّ نفـسي وابـن أخـي، فأمرنـا بـأمرك فواللـه لنمضينّ لـه ولو حال دون أمرك شوك الـهراس، وجمـر الغـضى. فقـال لـهما عليّ: «وأين تبلغان ما أريد، رحمكما اللـه»؟!

(١٢) وخطبة لـه أُخرى بهذا الإسناد شبيهة بهذا المعنى[٦٧]، قام فـيهم خطيباً فقال: «أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤكم، كلامكم يوهي الصّمّ الصّلاب، وفعلكم يُطمع فيكم عدوّكم. تقولون في المجالس: كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلـتم: حيدي حياد. ما عزّت دعوة مَن دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضـاليل. سألتموني التأخير، دفاع ذي الدّين المطول. هيهات لا يمنع الـضّيم الـذّليل، ولا يُـدرك الحقّ إلاّ بالجدّ. أيّ دار بعد داركم تمنعون؟ أم مع أيّ إمام بعـدي تقـاتلون؟ المغـرور واللـه مَن غررتموه، ومَنْ فاز بكم فاز بالـسّهم الأخيَـب. أصـبحتُ واللـه لا أُصـدّق قولكم، ولا أطمع في نصركم فَرَق اللـه بيني وبينكم، وأعقبني بكم مَن هـو خيـرٌ لـي منكم. لوددتُ أنّ لي بكلّ عشرة منكم رجلاً من بني فراس بـن غـنم، صـرف الـدّينار بالدّرهم».

(١٣) وكان عليّ بن أبي طالب ﷺ إذا عزّى قوماً قال: «إن تجزعوا فأهـل ذلـك الرّحم، وإن تصبروا ففي ثواب اللـه عوضٌ من كلّ فائت. وأنّ أعظم مصيبةٍ أصيب بها المسلمون محمد ﷺ، وعظّم أجركم»[٦٨].

(١٤) ودخل عليّ بن أبي طالب ﷺ المقابر فقال: «أمّا المنازل فقد سُكنَتْ، وأمّا الأموال فقد قُسّمتْ، وأمّا الأزواج فقد نُكحتْ. هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم»؟ ثم قال: «والذي نفسي بيده لو أذن لـهم في الكلام لأخبروا أنّ خير الزّاد التّقوى»[٦٩].

(١٥) قال: لما انصرف عليّ بن أبي طالب ﷺ من صفين مرّ بمقابر، فقال:

«الـسلام علـيكم أهـل الـدّيار الموحـشة، والمحـالّ المقفـرة، مـن المـؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات. أنتم لنا سلفٌ فارط، ونحن لكم تبع، وبكـم عمّـا قليل لاحقون. اللـهمّ اغفر لنا ولـهم، وتجاوزْ بعفوك عنّـا وعـنهم. الحمـد للـه الـذي جعل الأرض كفاتاً، أحياءً وأمواتاً. والحمد للـه الذي خلقكم، وعليها يحشركم، ومنهـا

www.noormags.ir

يبعثكم، وطوبى لمن ذكر المعاد، وأعدّ للحساب، وقنع بالكفاف»[٧٠].

(١٦) قال: وكان عليٌّ بن أبي طالب ﷺ يقول: «اللهمّ إنّ ذنوبي لا تضرُّك، وإنّ رحمتك إيّاي لا تنقصك، فاغفر لي ما لا يضرّك، وأعطني ما لا ينقصك»[٧١].

(١٧) وقال أبو عبيد في حديث علي بن أبي طالب ﷺ حين رأى فلاناً يخطب فقال: «هذا الخطيب الشِّحْشِح». قال: هو الماهر الماضي[٧٢].

(١٨) وقال عليّ بن أبي طالب ﷺ: «بقيّة السّيف أنمى عدداً، وأكرم ولداً. ووجد الناس ذلك بالعيان، للذي صار إليه ولده من نهْك السّيف، وكثرة الذّرْء، وكرم النّجْل»[٧٣].

(١٩) وقال عليّ بن أبي طالب ﷺ يومئذٍ: «عضّوا على النّواجذ من الأضراس، فإنّه أنبى للسيوف عن الهام»[٧٤].

في الحكم والمواعظ

(٢٠) وقال عليّ بن أبي طالب ﷺ: «خذ الحكمة أنّى أتتك؛ فإنّ الحكمة تكون في صدر المنافق فتتلجلج في صدره حتّى تخرج فتسكن إلى صواحبها»[٧٥].

(٢١) قال: وقال محمد بن علي لابنه: «يا بنيّ إذا أنعم الله عليك نعمةً فقل: الحمد لله. وإذا حزبك أمرٌ فقل: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله. وإذا أبطأ عنك رزقٌ فقل: أستغفر الله[٧٦].

قالوا: كان محمد بن علي لا يُسمِع المبتلى الاستعاذة من البلاء.

(٢٢) قال: وكان محمد بن عليّ إذا رأى مبتلىً أخفى الاستعاذة. وكان لا يُسمع من داره: «يا سائل بورك فيك، ولا يا سائل خُذ هذا. وكان يقول: «سمّوهم بأحسن أسمائهم»[٧٧].

(٢٣) قال: ونهض الحارث بن حوت اللّيثي إلى عليّ بن أبي طالب، وهو على المنبر، فقال: أتظن أنّا نظنّ أنّ طلحة والزّبير كانا على ضلال؟ قال: «يا حار، إنّه ملبوسٌ عليك، إن الحقّ لا يُعرف بالرّجال. فاعرف الحق تعرف أهله!»[٧٨].

(٢٤) وقال الحسن ﷺ، وسمع رجلاً يعظ، فلم تقع موعظته بموضعٍ من قلبه،

www.noormags.ir

ولم يرقّ عندها، فقال لـه: «يا هذا، إنّ بقلبك لشرّاً أو بقلبي»(٧٩).

(٢٥) وقال علي بن الحسين بن عليّ ﷺ: «لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة، وجملة الحال في صواب التّبيين، لأعربوا عن كلّ ما تخلّج في صدورهم، ولوجدوا من بَرْد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كلّ حال سوى حالهم. وعلى أنّ درك ذلك كان لا يعْدمهم في الأيام القليلة العدّة، والفكرة القصيرة المدّة، ولكنّهم من بين مغمور بالجهل، ومفتون بالعجب، ومعدولٍ بالهوى عن باب التثبّت، ومصروف بسوء العادة عن فضل التّعلّم»(٨٠).

(٢٦) وقد جمع محمد بن علي بن الحسين صلاح شأن الدّنيا بحذافيرها في كلمتين، فقال: «صلاح شأن جميع التّعايش والتعاشر، ملء مكيال ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل». فلم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير، ولا حظاً في الصّلاح؛ لأنّ الإنسان لا يتغافل إلاّ عن شيءٍ قد فطن لـه وعرفه(٨١).

(٢٧) وذكر هذه الثلاثة الأخبار إبراهيم بن داحة، عن محمد بن عمير. وذكرها صالح بن علي الأفقم، عن محمد بن عمير. وهؤلاء جميعاً من مشايخ الشيع، وكان ابن عمير أغلاهم(٨٢).

(٢٨) وقال الحسن بن علي: «من أتانا لم يعدم خصلةً من أربع: آية محكمةً، أو قضيّة عادلة، أو أخا مستفاداً، أو مجالسة العلماء»(٨٣).

(٢٩) وقال عليّ بن أبي طالب ﷺ «من أفضل العبادة الصّمتُ وانتظار الفرج»(٨٤).

(٣٠) وقال علي بن الحسين لابنه: «يا بنيّ، اصبر على النائبة، ولا تتعرّض للحقوق، ولا تجب أخاك إلى شيء مضرّته عليك أعظم من منفعته لـه»(٨٥).

(٣١) وقال عليّ بن أبي طالب ﷺ «لا تكوننّ كمن يعجز عن شكر ما أُوتي، ويبتغي الزّيادة فيما بقي؛ ينهى ولا ينتهي، ويأمر الناس بما لا يأتي؛ يحبّ الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويبغض المسيئين وهو منهم؛ يكره الموت لكثرة ذنوبه، ولا يدعها في طول حياته»(٨٦).

(٣٢) وقال عليّ بن أبي طالب ﷺ: «كن في الناس وسطاً وامْشِ جانباً»(٨٧).

www.noormags.ir

الدّنيا والآخرة

(٣٣) وقال بعضهم: ذمّ رجلٌ الدّنيا عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال عليٌّ: «الدّنيا دار صدق لمن صدقها، ودار غنىً لمن تزوّد منها، ومهبط وحْي الله، ومصلّى ملائكته، ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه. ربحوا فيها الرّحمة، واكتسبوا فيها الجنّة. فمن ذا الذي يذمّها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها، وشبّهتْ بسرورها السرور، وببلائها البلاء، ترغيباً وترهيباً. فيا أيّها الذّامّ للدّنيا، المعلّل نفسه، متى خدعتك الدّنيا أم متى استذمّت إليك؟

أبمصارع آبائك في البلى، أم بمضاجع أُمّهاتك في الثّرى؟! كم مرّضْتَ بيديك؟ وكم علّلْتَ بكفّيك؟ تطلب له الشّفاء، وتستوصف له الأطبّاء، غداة لا يغني عنه دواؤك، ولا ينفعه بكاؤك، ولا تنجيه شفقتك، ولا تشفع فيه طلبتك»[٨٨].

(٣٤) قال: قيل لمحمد بن علي: من أشدّ الناس زهداً؟ قال: «من لا يبالي الدنيا في يد من كانت»[٨٩].

وقيل له: من أخسر الناس صفقةً؟ قال: «من باع الباقي بالفاني»[٩٠].

وقيل له: من أعظم الناس قدراً؟ قال: «من لا يرى الدنيا لنفسه قدْراً»[٩١].

(٣٥) قال: وكان محمد بن علي بن الحسين بن علي يقول: «اللهمّ أعنّي على الدّنيا بالغنى، وعلى الآخرة بالتّقوى»[٩٢].

(٣٦) عن الحسن قال: «لا تزول قدما ابن آدم حتى يسأل عن ثلاث: شبابه فيما أبلاه، وعمره فيما أفناه، وماله من أين كسبه، وفيما أنفقه»[٩٣].

النساء

(٣٧) وقال له مالك الأشتر: كيف وجد أمير المؤمنين أهله؟ فقال: «كخير امرأة، قبّاء جبّاء»! قال: وهل يريد الرّجال من النساء غير ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: «لا، حتى تدفئ الضّجيع، وتروي الرّضيع»[٩٤].

(٣٨) وقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام «جمال الرجل في عمّته، وجمال المرأة في خفّها»[٩٥].

www.noormags.ir

(٣٩) وقال عليّ بن أبي طالب ﷺ قولاً أحسن من هذا، قال: «تمام جمال المرأة في خُفِّها، وتمام جمال الرجل في كمّته»[٩٦].

أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية

(٤٠) عبدالرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن أبي هاشم القاسم بن كثير، عن قيس الخارفي إنه سمع عليّاً يقول: «سبق رسول الله ﷺ وصلّى أبو بكر، وثلّث عمر، وخبطتنا فتنةٌ فما شاء الله». ليس في الحديث أكثر من هذا[٩٧].

(٤١) خالد بن يزيد الطائيُّ، قال: كتب معاوية إلى عديّ بن حاتم: (حاجيتك ما لا يُنسى) يعني قتْلَ عثمان. فذهب عديٌّ بالكتاب إلى عليّ فقال: «إنّ المرأة لا تنسى قاتل بكرها، ولا أبا عذرها». فكتب إليه عديٌّ: (إن ذلك منّي كليلة شيباء)[٩٨].

(٤٢) بكر بن الأسود قال: قال الحسن بن علي لحبيب بن مسلمة: «ربَّ مسير لك في غير طاعة الله». فقال: أمّا مسيري إلى أبيك فلا. قال: «بلى، ولكنّك أطعتَ معاوية على دنيا قليلة، فلعمري لئن قام بك في دنياك، لقد قعد بل في دينك. ولو أنّك إذ فعلت شراً قلت خيراً كنت كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾، ولكنّك كما قال جلّ وعزّ: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[٩٩].

(٤٣) حدّثني سليمان بن أحمد الخرشني، قال: حدثني عبدالله بن محمد ابن حبيب، قال: طلب زيادٌ رجلاً كان في الأمان الذي سأله الحسن بن علي لأصحابه، فكتب فيه الحسن إلى زياد: «من الحسن بن علي إلى زياد. أمّا بعد، فقد علمت ما كنّا أخذنا لأصحابنا، وقد ذكر لي فلانٌ أنك عرضْتَ له، فأُحبّ أن لا تعرض له إلاّ بخير». فلمّا أتاه الكتاب ولم ينسبه الحسن إلى أبي سفيان غضب فكتب: (من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن. أمّا بعد، فقد أتاني كتابك في فاسق يؤويه الفسّاق من شيعتك وشيعة أبيك، وايم الله لأطلبنّهم ولو بين جلدك ولحمك، وإنّ أحبّ الناس إليّ لحماً أن آكُله للحمٌ أنت منه). فلما وصل الكتاب إلى الحسن وجّه به إلى معاوية، فلما قرأ معاوية غضب وكتب: (من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان. أمّا رأيك من أبي سفيان فحِلْم وحزم، وأمّا رأيك من سميّة فكما يكون رأي مثلها. وقد كتب إليّ

www.noormags.ir

الحسن بن عليّ ممن لا يرمي به الرّجوان. والعجب من كتابك إليه لا تنسبه إلى أبيه، أفإلى أمّه وكنْته، وهو ابن فاطمة بنت محمّد رسول الله ﷺ؟ فالآن حين اختْرت له. والسّلام)[١٠٠].

(٤٤) وقال عليٌّ في رواية الشّعبي: «حملتُ إليكم درّة عمر لأضربكم بها لتنتهوا فأبيتم، حتى اتخذتُ الخيزرانة فلم تنتهوا. وقد أرى الذي تريدون: السّيف. وإني لا أُصلحكم بفسادي»[١٠١].

قضايا عامّة

(٤٥) قال أبو عبيدة: حدثنا مسمع بن عبدالملك، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، عن آبائه قال: «أول من فُتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل، وهو ابن أربع عشرة سنة»[١٠٢].

(٤٦) وقيل لعليّ بن أبي طالب عليه السلام كم بين الأرض والسماء؟ قال: «دعوة مستجابة». قالوا: كم بين المشرق إلى المغرب؟ قال: «مسيرة يوم للشمس، ومن قال غير هذا فقد كذب»[١٠٣].

(٤٧) عليّ بن أبي طالب عليه السلام «رأي الشيخ أحبّ إلينا من جَلَدَ الشاب»[١٠٤].

ولذلك كرهوا ركوب الصّعب حتى يذلّ، والمهر الأرن إلاّ بعد رياضة. ولم يحوّلوا المعانيق هماليج إلاّ بعد طول التّخليع، ولم يحلبوا الزّبون إلاّ بعد الإبساس.

(٤٨) قال الحسن: «لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد الكلام تفكّر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت. وقلب الجاهل من وراء لسانه، فإن همّ بالكلام تكلّم به له أو عليه»[١٠٥].

(٤٩) وقالوا: وكان عليّ عليه السلام بالكوفة قد منع الناس من القعود على ظهر الطريق، فكلّموه في ذلك فقال: «أدعكم على شريطة». قالوا: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: «غضّ الأبصار، وردُّ السلام، وإرشاد الضالّ». قالوا: قد قبلنا. فتركهم[١٠٦].

وبعد كل هذا، نلحظ أن الجاحظ كان يرى لعليّ بن أبي طالب عليه السلام مكانة علميّة خاصة، فهو يختار مئة كلمة من كلامه، ويحتفظ بها بل يعتزّ بها اعتزازاً، وكأنّه يريد أن

www.noormags.ir

يكتم ولاءه للإمام عليّ عليه السلام، ونراه مرة أُخرى يقدّم للقرّاء رسالة احتجاجيّة؛ لكي يبرهن عن طريق الكتاب والسّنة، بعد أن يجعل للعقل والمنطق مكانتهما، ويتساءَل: من هو الخليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله حقاً، فيسترسل ويتدرج في الأدلة حتى ينتهي بهذه النتيجة، وهي أن الخلافة لا تليق إلاّ به عليه السلام ولخطب الإمام عليّ وأقواله مكانة خاصة لدى الجاحظ.

بعد هذا وذاك، هل كان الجاحظ يعتقد حقاً أن الإمام عليّاً عليه السلام أولى بالأمر من غيره؟ أم أنه يعتقد كما كان يعتقد به ابن أبي الحديد، شارح كتاب (نهج البلاغة) للإمام عليّ عليه السلام، عندما يقول في مقدمة هذا الشرح: الحمد لله الذي قدّم المفضول على الفاضل؟ الله العالم، وهو الموفق للسداد.

الهوامش

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) يراجع مقدمة كتاب الحيوان ومعجم الأدباء.

(٢) الجزء السابع، السنة التاسعة، ص٤٩٧.

(٣) أُنظر زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، منشورات مكتبة دار مكتبة الحياة ـــ بيروت، بدون سنة الطبع ج١، ص٤٧٤ ـــ ٤٧٧.

(٤) أُنظر جبر، جميل، الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٤، ص٦٨ ـــ ٧٠.

(٥) الفاخوري، حنّا، تأريخ الأدب العربي، الطبعة السادسة ـــ بيروت، بدون سنة الطبع، ص٥٥٩.

(٦) المصدر السابق، ص٥٦١.

(٧) المصدر السابق نفسه.

(٨) أُنظر الحاجري، طه، الجاحظ حياته وآثاره، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر ـــ القاهرة ١٩٦٩، ص٣٧.

(٩) أُنظر شلحت، فيكتور، النزعة الكلاميّة في أُسلوب الجاحظ، الطبعة الثالثة، دار المشرق ـــ بيروت ١٩٩٢، ص٢٢.

(١٠) أُنظر الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، مصدر سابق، ص١٤٢ ـــ ١٤٣؛ نقلاً عن كتاب (التربيع والتدوير)، على هامش الكامل للمبرد، ج١، ص٤٣؛ وكذا كتاب الحيوان للجاحظ، ج١، ص٢٠٧.

www.noormags.ir

(١١) أُنظر الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق، ص٥٤٨.

(١٢) المصدر السابق نفسه.

(١٣) المصدر السابق، ص ٥٨٦.

(١٤) المصدر السابق، ص٥٦٣.

(١٥) الزيّات، أحمد حسن، تأريخ الأدب العربي، الطبعة السادسة والعشرون، دار الثقافة ــ بيروت، بدون سنة طبع، ص ٢٣٠.

(١٦) المصدر السابق، ص ٢٣١.

(١٧) أُنظر الفاخوري، حنّا، الجامع في تأريخ الأدب العربي، دار الجيل ــ بيروت، الطبعة الأُولى ١٩٨٦، ص٥٥١ ــ ٥٥٢.

(١٨) أُنظر الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، مصدر سابق، ص٨

(١٩) المصدر السابق، ص١٥.

(٢٠) المصدر السابق، ص١٩.

(٢١) أبو عبيدة (وفاته ٢٠٩هـ)، هو الذي قال فيه الجاحظ: «لم يكن في الأرض خارجي ولا إجماعي أعلم بجميع العلوم منه». تتجاوز تصانيفه المئة؛ منها كتاب الحمام، والحيّات، والعقارب، والخيل، والإبل والزرع وهي موضوعات عالجها الجاحظ أيضاً.

(٢٢) أبو الحسن الأخفش (وفاته ٢١٥هـ)، من أكابر أئمة النحو في البصرة.

(٢٣) الأصمعي (وفاته ٢١٦هـ)، هو صاحب لغة ونحو، وإمام في الأخبار والنوادر والملح والغرائب؛ جمع شتيت اللّغة في الشجر، والنّبات، والإبل، والشاء، والوحوش وغير ذلك.

(٢٤) أبو زيد الأنصاري (وفاته ٢١٥هـ)، من أئمة الأدب، غلبت عليه اللغة والنوادر والغريب. كان ثقة في روايته. وقد ألّف في القوس، والترس، والإبل، والوحوش، وخلق الإنسان، والمطر، والنبات.

(٢٥) أبو إسحاق النظّام (وفاته ٢٢١هـ)، من الموالي، تتلمذ للعلاف في الاعتزال، ثم انفرد عنه وكوّن له مذهباً خاصاً. كان آية في النبوغ حتى قال عنه الجاحظ: «الأوائل يقولون: في كل ألف سنة رجل لا نظير له، فان كان ذلك صحيحاً فهو أبو إسحاق النظّام، وقد أثّر النظام في الجاحظ من نواحٍ كثيرة. [الهوامش نقلت من كتاب تاريخ الأدب العربي لحنّا الفاخوري، مصدر سابق، ص٥٦٣ ــ ٥٦٤].

(٢٦) الخوارزمي، المناقب، طبعة النجف الأشرف ١٩٦٥، ص ٢٧٠.

(٢٧) الحسيني، عبدالزّهراء الخطيب، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، دار الأضواء ــ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج١، ص ٦٠ ــ ٦١ و٧٢ ــ ٨٣

www.noormags.ir

(٢٨) المجلد الأول الصفحة ١٧٩.

(٢٩) زيدان، جرجي، تأريخ آداب اللغة العربيّة، مصدر سابق، ج٢، ص٤٧٧.

(٣٠) الطهراني، آغا بزرك، الذريعة في تصانيف الشيعة، طبعة إيران ١٣٨٩هـ ج١٥، ص٢٠.

(٣١) المصدر السابق، ج١٩، ص٢.

(٣٢) المصدر السابق، ج٧، ص٥٦.

(٣٣) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، القاهرة ١٩٤٧، ج١، ص٩٧.

(٣٤) سورة الأنفال، الآية ٦٧.

(٣٥) سورة التوبة، الآية ١١٩.

(٣٦) سورة النحل، الآية ٧٨.

(٣٧) خلط الجاحظ هنا بين آيتين، الأولى: الآية ٦٨ من سورة القصص: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، والثانية: الآية ٣٦ من سورة الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾. (المجلة)

(٣٨) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٣٩) سورة النساء، الآية ٩٥.

(٤٠) سورة الحديد، الآية ١٠.

(٤١) سورة الزلزلة، الآية ٧.

(٤٢) سورة البقرة، الآية ١١٠.

(٤٣) سورة ق، الآيات ٣١، ٣٢، ٣٣.

(٤٤) سورة آل عمران، الآية ١٣٣. (لا توجد في الآية عبارة: الذين يخشون ربّهم).

(٤٥) سورة فاطر، الآية ٢٨.

(٤٦) سورة المائدة، الآية ٩٥.

(٤٧) سورة يونس، الآية ٣٥.

(٤٨) يراجع مجلة لغة العرب، الجزء السابع، السنة التاسعة، ص٤٩٧.

(٤٩) سورة الشورى، الآية ٣٨.

(٥٠) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج٧، ص٤٥٣.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

www.noormags.ir

(٥١) الزمخشري، جار الله، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، انتشارات آفتاب ــ طهران، بدون سنة طبع، ج٣، ص١٨٨ ــ ١٨٩.

(٥٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي ــ بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ج١٦، ص٦٦ ــ ٦٩.

(٥٣) أنظر الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق، ص٥٥٧.

(٥٤) تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل ــ بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

(٥٥) سورة آل عمران، الآية ٥٩.

(٥٦) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل ــ بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج٣، ص٢٠٤. يوجد نظيره في نهج البلاغة، ج١، ص١١: (مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب). جاء الحديث نصاً في بحار الأنوار ج٢، ص٣٢٠ وفي ج٩، ص٧ و١٥١، وفي، ج١٤، ص٢٠٦، وكذلك في المجلدات ٢١، ٣٥، ٥٤، ٦٨، ٧٠، ٩٠.

(٥٧) الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج٢، ص٢٠٠. أورد هذا القول ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ج٤، ص١٠٤ لعلي بن الحسين، وفي ١٠، ص١٤٧، وفي ج١٧، ص٤٦، وفي ج١٨، ص٢٣٣ الحكمة ٨٠ لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

(٥٨) المصدر السابق، ج٢، ص٧٧.

(٥٩) المصدر السابق، ج١، ص٨٣ وج٢، ص٧٧ ــ ٧٨، توجد هذه الكلمة في بحار الأنوار، ج٤٠، ص١٦٣، وكذا في ج٦٨، ص٢٨٣، وكذا في ج٧٥، ص٣٧، وكذا في ج١٠١، ص٣٦٩، وجاءت كذلك في شرح نهج البلاغة لأبي أبي الحديد، ج١٨، ص٢٣٠، وجاءت في بحار الأنوار، ج١، ص١٦٥ ح١٨٢ بهذا النّص: قيمة كلّ امرئ ما يحسنه.

(٦٠) الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج٢، ص٩٩، ولم أجده في مصادرنا.

(٦١) لم أجده في مصادرنا.

(٦٢) المصدر السابق، ج٢، ص١٩٧.

(٦٣) المصدر السابق، ج٢، ص١٠٨، جاء نظيره في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٤، ص٩٥ هكذا: «وروى عنه حماد بن سلمة أنه قال: لو كان عليّ يأكل الحشف بالمدينة لكان خيراً له مما دخل فيه».

(٦٤) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص٥٠ ــ ٥٢.

جاء في نهج البلاغة تنظيم صبحي الصالح، ص٥٧ ــ ٥٨ هكذا:

لما بويع في المدينة وفيها يخبر الناس بعلمه بما تؤول إليه أحوالهم وفيها يقسمهم إلى أقسام.

ذمّتي بما اقول رهينة. وأنا به زعيم. وإنّ مَن صرُحتْ له العبر عمّا بين يديه من المَثُلات، حجَزَتْه التّقوى

www.noormags.ir

عن تقحُّم الشّبهات. ألا وإنّ بليّتكم قد عادتْ كهيْئتها يوم بعث الله نبيّه ﷺ. والّذي بعثه بالحقّ لتُبلْـبَلُنّ بلْبلةً، ولتُغربَلُنّ غرْبلةً، ولتُساطُنّ سوط القدْر، حتى يعود أسـفلكم أعلاكـم، وأعلاكـم أسـفلكم، وليَـسبقَنّ سابقون كانوا قصّروا، وليُقصِّرَنّ سبّاقون كانوا سبقوا. واللـه ما كتمْتُ وشْمةً، ولا كذبتُ كذبةً، ولقـد نُبِّـئْتُ بهذا المقام وهذا اليوم. ألا وإنّ الخطايا خيلٌ شُمُسٌ حُمل عليها أهلـها، وخُلعتْ لُجُمها، فتقحّمت بهم فـي النار. ألا وإنّ التّقوى مطايا ذُلُلٌ، حُمل عليها أهلـها، وأُعطوا أزمّتها، فأوردتْهم الجنّة. حقٌ وباطلٌ، ولكلٍّ أهلٌ، فلئنْ أمِرَ الباطل لقديماً فعل، ولئن قلّ الحقّ فلربّما ولعلّ، ولقلّما أدبر شيءٌ فأقبل!

ومن هذه الخطبة وفيها يقسم الناس إلى ثلاثة أصناف:

شُغل من الجنّةُ والنارُ أمامه! ساعٍ سريعٌ نجا، وطالبٌ بطيءٌ رجا، ومقصّرٌ في النار هـوى. اليمـين والـشّمال مضلّة، والطّريق والوسطى هي الجادّة، عليها باقي الكتاب وآثار النّبوة، ومنها منفذ السّنّة، وإليها مصير العاقبة. هلك من ادّعى، وخاب من افترى. من أبدى صفحته للحقّ هلك. وكفى بالمرء جهلاً ألا يعـرف قـدره. لا يهلك على التّقوى سنخ أصلٍ، ولا يظمأ عليها زرع قوم. فاستَتِروا في بيوتكم، وأصلحوا ذات بينكم، والتّوبة من ورائكم، ولا يحمد حامدٌ إلاّ ربّه، ولا يلُمْ لائمٌ إلاّ نفسه.

(٦٥) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص٥١ ـــ ٥٢.

جاء في نهج البلاغة، ص٧١ ـــ ٧٢ هكذا:

وهو فصل من الخطبة التي أولـها «الحمد للـه غير مقنوط من رحمته».

وفيه أحد عشر تنبيهاً.

أمّا بعد، فإنّ الدنيا أدبرتْ، وآذنتْ بوداعٍ، وإنّ الآخرة قد أقبلتْ وأشرفتْ باطّلاعٍ، ألا وإنّ اليـوم المـضمار، وغداً السّباق، والسّبقة الجنّة، والغاية النار؛ أفلا تائبٌ من خطيئته قبل منيّته! ألا عاملٌ لنفسه قبل يـوم بؤسـه! ألا وإنّكم في أيام أملٍ من ورائه أجلٌ؛ فمن عمل في أيّام أملـه قبل حضور أجلـه فقد نفعـه عملـه، ولـم يضرُرْه أجَلـه. ومن قصَّر في أيام أملـه قبل حضور أجلـه. فقد خسر عملـه، وضرّه أجلـه. ألا فأعملوا فـي الرَّغبة كما تعملون في الرّهبة، ألا وإنّي لم أرَ كالجنّة نام طالبها، ولا كالنّار نام هاربُها، ألا وإنّه مـن لا ينفعُـهُ الحقّ يضرُّه الباطل، ومن لا يستقيم به الـهدى، يجرُّ به الضّلال إلى الرّدى. ألا وإنّكـم قـد أُمـرتم بـالظّعن، ودُلِلْتم على الزّاد؛ وإنّ أخْوف ما أخاف عليكم اثنتان: اتّباع الـهوى، وطول الأمل، فتـزوّدوا فـي الـدّنيا مـن الدّنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً.

(٦٦) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص٥٣ ـــ ٥٤.

جاء في نهج البلاغة، ص٦٩ ـــ ٧١ بهذا النّصّ:

وقد قالـها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية فلم ينهـضوا. وفيهـا يـذكر فـضل الجهاد، ويستنهض الناس، ويذكر علمه بالحرب، ويلقي عليهم التبعة لعدم طاعته.

www.noormags.ir

أمّا بعد، فإنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة، فتحه اللـه لخاصّة أوليائه، وهو لباس التّقوى، ودرع اللـه الحصينة، وجُنّته الوثيقة. فمن تركه رغبةً عنه ألبسه اللـه ثوب الذّلّ، وشملـه البلاء، وذُيّث بالصّغار والقَماءة، وضُرب على قلبه بالإسهاب، وأُديل الحقّ منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومُنع النّصف.

ألا وإنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسرّاً وإعلاناً، وقلت لكم: اُغزوهم قبل أن يغزوكم، فواللـه ما غُزي قومٌ قطّ في عقر دارهم إلاّ ذلّوا. فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنّت عليكم الغارات، ومُلكت عليكم الأوطان. وهذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسّان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأُخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقُلبها وقلائدها ورُعثها، ما تمتنع منه إلاّ بالاسترجاع والاسترحام. ثمّ انصرفوا وافرين ما نال رجلاً منهم كلْمٌ، ولا أُريق لهم دمٌ. فلوْ أنّ امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً؛ فيا عجباً! عجباً ــ واللـه ــ يُميت القلب، ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرّقكم عن حقّكم! فقبحاً لكم وترحاً، حين صرتم غرضاً يُرمى، يُغار عليكم ولا تُغيرون، وتُغزَون ولا تغزون، ويُعصى اللـه وترضون! فإذا أمرتكم بالسّير إليهم في أيّام الحرّ قلتم: هذه حمارّة القيظ، أمهلنا يُسبّخ عنّا الحرّ، وإذا أمرتكم بالسّير إليهم في الشّتاء قلتم: هذه صبارّة القُرّ، أمهلنا ينسلخ عنّا البرد؛ كلّ هذا فراراً من الحرّ والقُرّ. فإذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرّون، فأنتم واللـه من السّيف أفرّ!

يا أشباه الرّجال ولا رجال! حلوم الأطفال، وعقول ربّات الحجال، لوددتُ أنّي لم أركم ولم أعرفكم معرفةً ــ واللـه ــ جرّتْ ندماً، وأعقبتْ سدماً. قاتلكم اللـه! لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتمْ صدري غيظاً، وجرّعتموني نُغَب التّهمام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان؛ حتّى لقد قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب رجلٌ شجاعٌ، ولكن لا علم له بالحرب.

للـه أبوهم! وهل أحدٌ منهم أشدّ لها مراساً، وأقدم فيها مقاماً منّي! لقد نهضْتُ فيها وما بلغْتُ العشرين، وهأنذا قد ذرّفت على الستين! ولكن لا رأي لِمَنْ لا يطاع!

(٦٧) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص٥٥ ــ ٥٦.

جاء في نهج البلاغة، ص٧٢ ــ ٧٣ هكذا:

بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية على الحاج بعد قصة الحكمين وفيها يستنهض أصحابه لما حدث في الأطراف.

أيّها النّاس، المجتمعة أبدانُهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصّمّ الصّلاب، وفعْلكم يُطمع فيكم الأعداء! تقولون في المجالس: كيتَ وكيتَ، فإذا جاء القتال قُلتم: حيدي حياد! ما عزّتْ دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليلُ بأضاليلَ، وسألتموني التطويل، دفاع ذي الدّين المَطُول. لا يمنع الضّيْم الذّليل! ولا يُدرَك الحق إلاّ بالجدّ! أيّ دارٍ بعد داركم تمنعون، ومع أيّ إمامٍ بعدي تقاتلون؟ المغرور ــ

www.noormags.ir

والله ــ من غرَرتموه، ومن فاز بكم فقد فاز ــ والله ــ بالسّهم الأخيَب، ومن رمى بكم فقد رمى بأفْوَقَ ناصل. أصبحتُ والله لا أُصدّق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أُوعِد العدوّ بكم. ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ ما طبُّكم؟ القوم رجالٌ أمثالكم. أقولاً بغير علْم؟! وغفْلةً من غير ورع؟! وطمعاً في غير حق؟!

(٦٨) الجاحظ، المصدر السابق، ج٣، ص٢٨٥ ولم أجدها في المصادر الأُخر.

(٦٩) المصدر السابق، ج٣، ص١٥٥.

قال العلامة المجلسي في بحار الأنوار، ج٣٢، ص٦١٩:

جاء في شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص٣٢٢ هكذا: وقال عليه السلام وقد رجع من صفين فأشرف على القبور بظاهر الكوفة: يا أهل الدّيار الموحشة والمحال المقفرة، والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق. أمّا الدّور فقد سُكنت، وأمّا الأزواج فقد نُكحت، وأمّا الأموال فقد قُسّمت. هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما والله لو أُذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزّاد التقوى.

(٧٠) الجاحظ، المصدر السابق، ج٣: ص١٤٨، قال صاحب بحار الأنوار، ج٣٢، ص٥٥٣: وجاء في شرح نهج البلاغة، ج٢٠، ص٢٥٦ ــ ٢٥٧ هكذا: مرّ عليه السلام فقال: السلام عليكم يا أهل الدّيار الموحشة، والمحال المقفرة، من المؤمنين والمؤمنات والمسلمات. أنتم لنا فرط، ونحن لكم تبع، نزوركم عمّا قليل، ونلحق بكم بعد زمان قصير. اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز عنّا وعنهم. الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتاً، أحياءً وأمواتاً. والحمد لله الذي منها خلقنا، وعليها ممشانا، وفيها معاشنا، وإليها يعيدنا. طوبى لمن ذكر المعاد، وقنع بالكفاف، وأعدّ للحساب. إنّكم مخلوقون اقتداراً، ومربوبون اقتساراً، ومضمنون أجداثاً، وكائنون رفاتاً، ومبعوثون أفراداً، ومدينون حساباً. فرحم الله امرءاً اقترف فاعترف، ووجل فعقل، وحاذر فبادر، وعمّر فاعتبر، وحُذّر فازدجر، وأجاب فأناب، وراجع فتاب، واقتدى فاحتذى، وتأهّب للمعاد، واستظهر بالزّاد ليوم رحيله، ووجه سبيله، ولحال حاجته، وموطن فاقته، فقدّم أمامه لدار مقامه، فمهّدوا لأنفسكم على سلامة الأبدان، وفسحة الأعمار، فهل ينتظر أهل غضارة الشّباب إلاّ حواني الهرم، وأهل بضاضة الصحة إلاّ نوازل السّقم، وأهل مدة البقاء إلاّ مفاجأة الفناء واقتراب الفوت ومشارفة الانتقال وإشفاء الزّوال، أو حشرجة الأنين، ورشح الجبين، وامتداد العرنين، وعلز القلق، وقيظ الرّمق، وشدّة المضض، وغصص الجرض.

(٧١) الجاحظ، المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٤، وفي بحار الأنوار، ج٩١، ص١٣٩ جاء بهذا النّصّ: «إلهي ذنوبي لا تضرّك، وعفوك إياي لا ينقصك، فاغفر لي ما لا يضرّك، وأعطني ما لا ينفعك».

وجاء نظيره في مستدرك وسائل الشيعة، ج٥، ص١٤٣ بهذا النّصّ: «... يا من لا تنقصه المغفرة، ولا تضرّه الذنوب، صل على محمد وآل محمد، واغفر لي ما لا يضرّك، وأعطني ما لا ينقصك».

www.noormags.ir

(٧٢) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٤ ومثله في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١٩، ص١٠٦.

(٧٣) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص٣١٦. ولم أجده في المصادر الأُخر.

(٧٤) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص٢٨٥، جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٥، ص٢٠٣ ما يتعلق بالنواجذ. يراجع شرح نهج البلاغة، ج٩، ص٤١ وكذا ج٥، ص١٦٨ و١٦٩ و٢٠٠ وكذا ج١، ص٢٤٢.

(٧٥) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص٢٨٥. في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١٩، ص١٣٨ جاء هكذا: «خذ الحكمة أنى أتتك فإن الكلمة من الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تسكن إلى صاحبها».

(٧٦) الجاحظ، المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٩ ــ ٢٨٠ جاء الحديث نصّاً في بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٨٧ مع اختلاف يسير، إذ جاءت كلمة حزنك بدلاً من حزبك.

(٧٧) الجاحظ، المصدر السابق، ج٣، ص١٥٨ ــ ١٥٩، وفي بحار الأنوار، ج٤٦، ص٢٩٠ فقط: «وكان لا يسمع من داره يا سائل بورك فيك، ولا يا سائل خذ هذا»، وكان يقول: «سمّوهم بأحسن أسمائهم».

(٧٨) الجاحظ، المصدر السابق، ج٣، ص٢١١.

(٧٩) الجاحظ، المصدر السابق، ج١، ص٨٤.

(٨٠) الجاحظ، المصدر السابق نفسه.

(٨١) الجاحظ، المصدر السابق نفسه.

(٨٢) الجاحظ، المصدر السابق نفسه.

(٨٣) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٧.

(٨٤) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص٣٥٠ وكذا في ج١، ص٢٩٧ وج٣، ص٢٦٠ وأيضاً ج٢، ص١٦٥، وفي بحار الأنوار، ج٦٨، ص٩٦ وج٧٤، ص٤٢٢ وج٧٥، ص٣٨، وجاء في شرح نهج البلاغة، ج١، ص٣٢٢ ما هذا نصّه: انتظار الفرج بالصبر عبادة.

(٨٥) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص٧٦، وجاء في بحار الأنوار، ج٤٦، ص٩٥ هكذا: «قال علي بن الحسين عليه السلام ــ وكان من أفضل بني هاشم ــ لابنه: يا بني، اصبر على النوائب ولا تتعرض به، ولا تجب أخاك إلى الأمر الذي مضرته عليك أكثر من منفعته له.

(٨٦) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص١٠١، وجاء في بحار الأنوار، ج٤٠، ص١١٢ هكذا: ... فكان مما نحفظ من حكمته، وصف رجلاً أن قال: ينهى ولا ينتهي، ويأمر النّاس بما لا يأتي، ويبتغي الازدياد فيما بقي، ويضيع ما أُوتي، يحب أن يبادر من الدنيا ما يفنى، ويذر من الآخرة ما يبقى، يكره الموت لذنوبه، ولا يترك الذّنوب في حياته.

www.noormags.ir

وجاء نظير هذا النص في بحار الأنوار، ج٧٤، ص٤١٢ هكذا: «... موعظته عليه السلام ووصفه المقصّرين: لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويرجو التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا قول الزّاهدين ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أُعطي منها لم يشبع، وإن مُنع لم يقنع، يعجز عن شكر ما أُوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، ينهى الناس ولا ينتهي، ويأمر الناس ما لا يأتي، يحب الصّالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويبغض المسيئين وهو منهم، ويكره الموت لكثرة سيئاته، ولا يدعها في حياته.

ومثله في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١٨، ص٣٥٦ مع بعض الزيادة.

(٨٧) الجاحظ، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٦.

(٨٨) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٠، ١٩١. جاء ما يشابه ذلك في بحار الأنوار، ج٧٠، ص١٢٥ هكذا «... عن ابن نباته، قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام فجاء إليه رجل فشكا إليه الدنيا وذمّها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الدنيا منزل صدق لمن صدقها، ودار غنى لمن تزوّد منها، ودار عافية لمن فهم عنها، مسجد أحبّاء الله، ومهبط وحي الله، ومصلّى ملائكته، ومتجر أوليائه. اكتسبوا فيها الجنّة، وربحوا فيها الرّحمة. فلماذا تذمّها وقد آذنت ببينها، ونادت بانقطاعها، ونعت نفسها وأهلها، فمثلت ببلائها إلى البلاء، وشوّقت بسرورها إلى السّرور، راحت بفجيعة، وابتكرت بعافية تحذيراً وترغيباً وتخويفاً. فذمّها رجال غداة النّدامة، وحمدها آخرون يوم القيامة. ذكّرتهم فذكروا، وحدّثتهم فصدقوا. فيا أيّها الذّام للدنيا! المعلل بتغريرها، متى استذمّت إليك الدنيا وغرّتك؟ أبمنازل آبائك من الثّرى، أم بمضاجع أمهاتك من البلى؟ كم مرضت بكفيك؟ وكم عللت بيديك؟ تبتغي له الشّفاء، وتستوصف له الأطباء، لم ينفعه إشفاقك، ولم تعقه طلبتك...».

وشبهه جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١٨، ص٣٢٥.

(٨٩) الجاحظ، المصدر السابق، ج٣، ص١٦١، وجاء في بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٨٩ ما هذا نصّه: مَن أشدّ الناس زهداً؟ قال: من لا يبالي الدنيا في يد من كانت.

(٩٠) هذه العبارة لا توجد في بحار الأنوار.

(٩١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٨٨ في روايتين ٣٢ و٣٦.

(٩٢) الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج٣، ص٢٧١.

(٩٣) الجاحظ، المصدر السابق، ج٣، ص١٢٥.

(٩٤) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص٧٧ ــ ٧٨، ولم أجده في المصادر الأُخر.

(٩٥) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص٨٨، ولم أجده في المصادر الأُخر.

(٩٦) الجاحظ، المصدر السابق، ج٣، ص٩٨، ولم أجده في المصادر الأُخر.

(٩٧) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٩، ولم أجده في المصادر الأُخر.

www.noormags.ir

(٩٨) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص٣١١، وفي شرح نهج البلاغة لابن أبـي الحديـد، ج٨، ص٤٣ ـــ ٤٤ جاء ما يشابه هذا النّص.

(٩٩) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص٩٣، وجاء نظيره في شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٨ هكذا: «وحـدثنا سليمان بن أيوب، عن الأسود بن قيس العبدي أن الحسن عليه السلام لقي يوماً حبيب بن مسلمة فقـال لـه: يـا حبيب! رب مسير لك في غير طاعة اللـه. فقال: أما مسيري إلى أبيك فليس مـن ذلـك، قـال: بلـى واللـه ولكنّك أطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة، فلئن قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك، ولـو كنـت إذ فعلت شراً قلت خيراً كان ذلك كما قال عزّ وجلّ: ﴿خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾، ولكنـك كمـا قـال سبحانه: ﴿كلاّ بَلْ ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾.

(١٠٠) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص٢٩٩، وجاء نظيره في شرح نهج البلاغـة لابـن أبـي الحديـد، ج١٦، ص١٩.

(١٠١) الجاحظ، المصدر السابق، ج٣، ص٣٠١، ولم أجده في باقي المصادر.

(١٠٢) الجاحظ، المصدر السابق، ج٣، ص٢٩٠؛ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٣٥، ص١٤١ جاء هكذا: «إسماعيل أول من فُتق لسانه بالعربية المبينة التي نـزل بها القرآن».

(١٠٣) الجاحظ، المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٤ ـــ ٢٧٥، وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٢: ١٧٢ ـــ ١٧٣ وفي بحار الأنوار، ج١٠: ٨٤ جاء هكذا: «سألـه عليه السلام ابن الكوّاء: كم بين السّماء والأرض؟ فقال: دعوة مستجابة. قال: وما طعم الماء؟ قال: طعم الحياة. وكم بين المـشرق والمغـرب؟ فقـال عليه السلام: مـسيرة يـوم للشّمس، وكذا في ج١٠، ص١٣٠ وفـي ج٣٦، ص٣٨٤ وفـي ج٤٣، ص٣٢٥ وفـي ج٥٤، ص٢٣٢ وفـي ج٥٥، ص٩٣.

(١٠٤) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص١٤ ـــ ١٥، ولم أجده في باقي المصادر.

(١٠٥) الجاحظ، المصدر السابق، ج١، ص١٧٢، أورده ابن أبي الحديد بهذا اللفظ، في شرح نهج البلاغـة، ج٧، ص٩٠، كما أورده في ج١٠، ص٢٩ بهذا اللفظ: «لـسان العاقـل وراء قلبـه، وقلـب الأحمـق وراء لـسانه، والمجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١، ص١٥٩ وفي ج٦٨، ص٤.

(١٠٦) الجاحظ، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٦، ولم أجده في باقي المصادر.

www.noormags.ir